أول أعمال أبي بكر الصديق: إصراره على تسيير جيش أسامة إلى البلقاء

بعد حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة (٦٣١م) أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بتجهيز جيش لتأمين حدود دولته، بعد أن رأى أن ما تحقق ليس كافياً، وأن خطر الروم ما زال قائماً، وجعل قيادة الجيش لـ "أسامة بن زيد"، وكان شاباً لم يتجاوز العشرين من عمره، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وأن يفاجئ العدو قبل أن يستعد لخوض المعركة؛ فتحل به الهزيمة، وتلحق به الخسائر.

وكان أسامة مفطوراً على حب الجهاد، والخروج إلى الغزو، شجاعاً مقداماً منذ نشأته؛ فخرج مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في أحد، لكنه رده لصغر سنه، ثم شارك في "الأحزاب" بعد أن اشتد عوده، واشترك مع أبيه زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، وكان ممن ثبت مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في غزوة "حنين"، حين تفرق المسلمون في الجولة الأولى من المعركة، وفرَّ منهم من فر. غير أن هذه المؤهلات لم تشفع لأسامة أن يتولى قيادة الجيش عند بعض الصحابة، فرأوا في هذه التولية رأياً، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين والأنصار، فلما بلغت النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه المقالة، وجيش أسامة مقيم بالجرف، غضب غضباً شديداً، وكان في مرض الموت؛ فأمر نساءه أن يُرقن عليه الماء؛ حتى تهدأ الحُمَّى، وخرج متحاملاً على نفسه، وصعد المنبر؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؛ فوالله لئن طعنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبل، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقٌ، وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة. وعلى الرغم من اشتداد المرض على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فإنه ظل حريصاً على قيام حملة أسامة، مدركاً أهمية ما تقوم به، وكان يقول لمن جاء يودعه من المسلمين الخارجين للغزو: "أنفذوا جيش أسامة"، ويقول لأسامة حين جاءه ليزوره: "أغد على بركة الله". وشاء الله تعالى أن يلحق النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالرفيق الأعلى وجيش أسامة قابع في "الجرف" خارج المدينة، لم يتحرك بعد.

اشتعلت **الرِّدَّة** بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأطلت برأسها في أرجاء الجزيرة العربية، وأحدقت الأخطار بالمدينة، وطلب أسامة من الخليفة "أبي بكر" أن يؤجل إرسال الجيش؛ حتى تسكن الفتنة، وتعود الأحوال إلى ما كانت عليه من الأمن والاستقرار، غير أن الصديق رأى غير ذلك؛ فلم تهز الفتنة نفسه، أو تزلزل كيانه، رغم ضراوتها وشدتها؛ فكان أثبت الصحابة جناناً، وأهداهم نفساً؛ **فأصر على إرسال جيش أسامة**، وقال: "والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفتني لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته"[1].

١ - أحمد تمام، النبي ودولة الروم، موقع على الشبكة الإسلامية.

أطلس حروب الرِّدَّة

البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القُرَى، قبتها عمّان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل. ذكر هشام بن محمد، عن الشرقي بن القُطامي أنها سميت البلقاء لأن بالق من بني عمّان بن لوط عليه السلام عمرها. ومن البلقاء: قرية الجبارين التي أراد الله تعالى بقوله: " إن فيها قوماً جبارين " المائدة: ٢٢ .. وقال قوم، وبالبلقاء: مدينة الشراة شراة الشام أرض معروفة وبها الكهف والرقيم، فيما زعم بعضهم. وذكر بعض أهل السير أنها سميت ببلقاء بن سَوِيدة من بني عسل بن لوط. وأما اشتقاقها، فهي من البلق، وهي سواد وبياض مختلطان، ولذلك قيل: أبلَق وبلقاءُ. والبلَق أيضاً الفُسطاط. وقد نسب إليها قوم من الرواة. منهم: حفص بن عمر بن حفص بن أبي السائب كان على قضاء البلقاء. الحموي، معجم البلدان، ج١ ، ص٣٥٦

وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة:

أيها الناس! قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لاتخونوا ولاتغلوا، ولاتغدروا ولاتمثلوا، ولاتقطعوا شجرة مثمرة، ولاتذبحوا شاة ولابقرة ولابعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ومافرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منه شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله وأوصى الصديق أسامة رضي الله عنهما أن يفعل ما أمر به النبي الكريم ﷺ قائلاً: اصنع ماأمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم، ابدأ ببلاد قضاعة، ثم إيت آبل، ولاتقصرن في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتعجلنَّ لما خلّفت عن عهده، ومضى أسامة رضي الله عنه بجيشه، وانتهى إلى ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من بث الخيول في قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسَلم وغنم، وكان مسيره ذاهباً وقافلاً أربعين يوماً. وقيل ٦٠ يوماً.

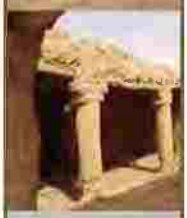

دروس وعبر من وصية الصديق لجيش أسامة :

أ-بيان طبيعة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس خليفة عن الله بل عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه بشر غير معصوم لايطيق مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبوته ورسالته، ولذلك فهو في سياسته متبع وليس بمبتدع أي أنه على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم بالعدل والإحسان . تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص٤٢٣.

ب-بيان واجب الأمة في مراقبة الحاكم لتعينه في إحسانه وصلاحه وتقومه وتنصحه في غير ذلك، ليظل على الطريق متبعاً غير مبتدع.

جـ-بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم عدل بين الأمة فلم يظلم أحداً، ولذلك ليس لأحد عند النبي صلى الله عليه وسلم مظلمة صغيرة أو كبيرة ومعنى هذا أنه سوف يسير على نفس النهج، ينشر العدل ويبتعد عن الظلم، ومن ثم على الأمة أن تعينه على ذلك، وإذا رآه أحد غاضباً فعليه أن يجتنبه حتى لايؤذي أحداً، فيخالف ماراه في سياسة الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، المرجع السابق، ص٤٢٣. والشيطان الذي يعتري الصديق يعتري جميع بني آدم، فإنه مامن أحد إلا وقد وكّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن، أبوبكر الصديق، محمد مال الله، ص١٩٦.

والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مامن أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن، قيل: وأنت يارسول الله؟ قال: وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير، وقد جاء في الحديث أيضاً: لما مرّ به بعض الأنصار وهو يتحدث مع صفية ليلاً، فقال: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي. ثم قال: إني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شيئاً، إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ومقصود الصديق بذلك: إني لست معصوماً كالرسول صلى الله عليه وسلم وهذا حق. المرجع السابق، محمد مال الله، ص١٩٧.

د-حرص الخليفة على وعظ المسلمين وتذكيرهم بالموت وحال الملوك الذين مضوا، وحثهم على العمل الصالح ليستعدوا للقاء الله عزوجل ويستقيموا في حياتهم على منهج الله تعالى، وهنا نلحظ توظيف الصديق لقوة البيان في خطبه وفي حديثه للأمة وقد كان صلى الله عليه وسلم أفصح خطباء النبي صلى الله عليه وسلم يقول عنه الاستاذ العقاد: أما كلامه فهو من أرجح ماقيل في موازين الخلق والحكمة، وله من مواقع الكلم أمثلة نادرة تدل الواحدة منها على ملكة صاحبها فيغني القليل منها عن الكثير، كما تغني السنبلة الواحدة عن الجرين الحافل، فحسبك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلمة كقوله: (احرص على الموت تهب لك الحياة) أو قوله: أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة. الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، فهي كلمات تتسم بالقصد والسداد، كما تتسم بالبلاغة وحسن التعبير، وتنبئ عن المعدن الذي نجمت منه، فتغني عن علامات التثقيف التي يستكثر منها المستكثرون لأن هذا الفهم الأصيل هو اللباب المقصود من التثقيف وكانت له صلى الله عليه وسلم لباقة في الخطاب إلى جانب البلاغة في الكلام. د. الصلابي، أبوبكر الصديق، ٢٢١ .

أطلس حروب الرِّدَّة

سـرية أسـامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أُبْنى وهي أرض السراة ناحية البلقاء، قالوا: لما كان يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صـفر سـنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ، أمر رسـول الله الناس بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال:« سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحا على أهل أُبْنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك ».

لقطات متنوعة من ساحة معركة مؤتة من أرض البلقاء بالمملكة الأردنية الهاشمية

كان من شأن هذا البعث أن ألقى الفزع والهلع في قلوب القبائل العربية التي مرَّ عليها في شمال الجزيرة العربية، وكأن لسان حالهم، أنه لو لم يكن للمسلمين قوة ما بعثوا جيشاً إلى تخوم الروم؛ ولذا كانت حركة الرِّدَّة في تلك المناطق أضعف منها في أي مكان آخر.

اللقطات بعدسة المؤلف

أطلس حروب الرِّدَّة

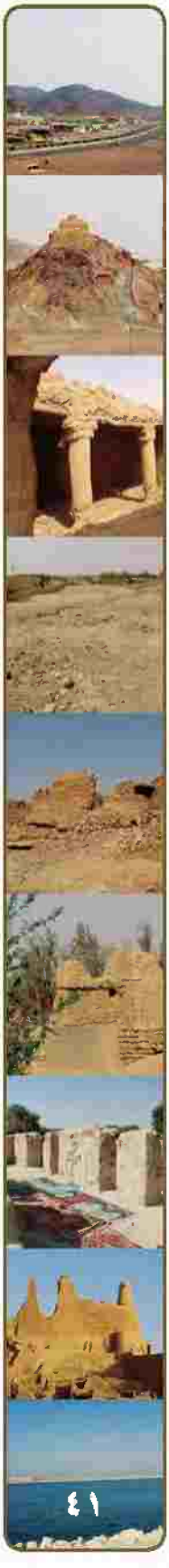

سار الجيش حتى بلغ "أبنى" من أرض البلقاء بعد عشرين يومًا من تحركه من المدينة، وشن غاراته كما أمره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قبل، وقضى على كل من وقف في وجهه من أعداء الله ورسوله، واضطر المرتدون من قضاعة للهروب إلى أماكن بعيدة عن طريق الشام، ولو بقي هؤلاء في أماكنهم، لازداد الخطر على المدينة.

كان هرقل بحمص حين جاءته الأنباء بما فعله جيش أسامة؛ فدعا بطانته، وقال لهم: "هذا الذي حذرتكم، فأبيتم أن تقبلوه مني، قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر؛ فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم يصبها شيء"، ثم أمر بإرسال حامية قوية لترابط في البلقاء.

أطلس حروب الرِّدَّة

قرأ الخليفة أبو بكر رضي الله عنه في وجوه الأعراب مافيها من الغدر، ورأى فيها الخسة وتفرس فيها اللؤم فقال لأصحابه: إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لاتدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً! وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا . تاريخ الطبري (٦٤/٤).

- ألزم أهل المدينة بالمبيت في المسجد حتى يكونوا على أكمل استعداد للدفاع.
- نظم الحرس الذين يقومون على أنقاب المدينة ويبيتون حولها حتى يدفعوا أي غارة قادمة.
- عيّن على الحرس أمراء من خيرة الصحابة رضي الله عنهم.
  - علي بن أبي طالب
  - الزبير بن العوام
  - طلحة بن عبيدالله
  - سعد بن أبي وقاص
  - عبدالرحمن بن عوف
  - عبدالله بن مسعود

بعث الصديق إلى من كان حوله من القبائل التي ثبتت على الإسلام، من أسلم وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة وكعب، يأمرهم بجهاد أهل الردة فاستجابوا له، حتى امتلأت المدينة المنورة بهم، وكانت معهم الخيل والجمال التي وضعوها تحت تصرف الصديق، ومما يدل على كثرة رجال هذه القبائل وكبر حجم دعمها للصديق، أن جهينة وحدها قدمت إلى الصديق في أربعمائة من رجالها ومعهم الظهر والخيل، وساق عمرو بن مرة الجهني مائة بعير لإعانة المسلمين، فوزعها الصديق في الناس.

من ابتعد من المرتدين عن المدينة، وأبطأ خطره، حاربه بالكتب يبعث بها إلى الولاة المسلمين في أقاليمهم كما كان رسول الله يفعل، يحرضهم على النهوض لقتال المرتدين، ويذمر الناس للقيام معهم في هذا الأمر، ومن أمثلة ذلك رسالته لأهل اليمن حيث المرتدة من جنود الأسود العنسي التي قال فيها:(أما بعد، فأعينوا الأبناء على من ناوأهم، وحوطوهم، واسمعوا من فيروز، وجدوا معه، فإني قد وليته)، وقد أثمرت هذه الرسالة، وقام المسلمون من أبناء الفرس بزعامة فيروز، يعاونهم إخوانهم من العرب بشن غارة شعواء على العصاة المارقين حتى رد الله كيدهم إلى نحورهم، وعادت اليمن بالتدرج إلى جادة الحق.

أما من قرب من المرتدين من المدينة واشتد خطره كبني عبس وذبيان فإنه لم يبر بدأ من محاربتهم على الرغم من الظروف القاسية التي كانت تعيشها المدينة، فكان أن آوى الذراري والعيال إلى الحصون والشعاب، محافظة عليهم من غدر المرتدين، واستعد للنزال بنفسه ورجاله.

جيوش المرتدين تهاجم المدينة ثم تفر إلى ذي القصة

بعد ثلاثة أيام من رجوع وفود المرتدين خائبة؛ طرقت بعض قبائل أسد وغطفان وعبس وذبيان وبكر دار الخلافة ليلاً وخلفوا بعضهم بذي حُسىً، ليكونوا لهم رِدءاً، وانتبه حرس الأنقاب لذلك وأرسلوا للصديق بالخبر.

جيوش المرتدين ← فرار المرتدين إلى ذي القصة

قال ياقوت في معجمه: أبرَقُ الربذة: بالتحريك وإذال معجمة، موضع كانت به وقعة بين أهل الردة وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر في كتاب الفتوح كان من منازل بني ذبيان فنادهم عليه أبو بكر رضي الله عنه لما ارتدوا وجعله حمى لخيول المسلمين وهذا الموضع عنى زياد ابن حنظلة، بقوله:

ويوم بالأبارق قد شهدنا ... على ذُبيان يلتهبُ التهابا

أتيناهم بداهية نآدٍ ... مع الصديق إذ ترك العتابا

جولات أبي بكر رضي الله عنه الأربع مع المرتدين حول المدينة

كان **أبو بكر الصديق** - رضي الله عنه - على معرفة كبيرة بمنطقة قبائل غطفان حيث غزهم في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما وجهه إلى **بني فزارة** في شعبان من السنة السابعة للهجرة المباركة بين النُخيل ونخل من أرض نجد، وهي اليوم تتبع منطقة المدينة المنورة إدارياً .

وبعد رجوع وفد المساومين المرتدين والمتمردين من الأعراب على الصدقة خائبين، توقع **أبو بكر** منهم الهجوم على المدينة في أي لحظة؛ لذلك أعد خطته المحكمة للذب عنها كما أسلفنا.

ثم إن الأمر الذي تفرسه **أبوبكر** في وجوه ما نعي الزكاة قد صار حقاً فهاهم يقومون بشن غارتهم كما قرأنا في الصفحة السابقة على المسلمين في المدينة، فصارت صولات وجولات من جراء ذلك .

ففي **الحرب الأولى** ، والتي كانت مع **بني عبس وذبيان وأسد** الذين تجمعوا للمسلمين في مكانين: أحدهما **الأبرق** وثانيهما **ذو القصة** .

وفي هذين المكانين جرت للمسلمين معهم **أربع جولات** ، كان أبوبكر رضي الله عنه يخرج في كل منها لقتالهم بنفسه مصراً على ذلك على الرغم من عزم الأصحاب عليه أن لايفعل .

الجولة الأولى

بعد إصرار الخليفة أبي بكر رضي الله عنه؛ على عدم إجابة المرتدين إلى ما طلبوه من إعفائهم من فريضة **الزكاة** أغاروا ليلاً على المدينة فخرج لقتالهم على الإبل فانهزموا واتبعهم حتى بلغوا **ذا حسى** من **الأبرق**، حيث كانوا قد أعدوا للمسلمين مكيدة وهي أنهم رموا في وجوه إبلهم الزقاق المنفوخة فنفرت منها، ولا تنفر الإبل من شيء نفارها من ذلك. فعاد المسلمون إلى المدينة ولكن دون أن يصابوا بأذى .

الحساءُ:

بالفتح والمد جمع حسي بكسر الحاء وسكون السين. وهو الماءُ الذي تنشفه الأرض من الرمل فإذا صارَ إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه. قال أبو منصور: سمعت غير واحد من تميم، يقول: إحتسينا حسياً أي أنبطنا ماء حسي، والحسي الرمل المتراكم أسفله جبل صلد فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر فإذا انتهى إلى الجبل الذي تحته أمسك الماء ومنع الرمل وحر الشمس أن يَنشف الماء، فإذا اشتد الحر نبث وجه الرمل عن الماءِ فتبيعَ بارداً عذباً يُتَبرضُ تبرضاً. وقد رأيت في البادية أحساء كثيرةً على هذه الصفة منها أحساءُ بني سعد بحذاءِ هَجَرَ والأحساءُ ماءٌ لجديلة طيىء بأجا وأحساءُ خرشاف وقد ذكر خرشاف في موضعه. وإحساءُ القَطيف، وبحذاءِ الحاجر في طريق مكة أحساءٌ في وادٍ متطا من ذي رمل إذا رويَت في الشتاء من السيول لم ينقطع ماءُ أحسائها في القيظ .ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ ، ص ٦٨ .

أطلس حروب الرِّدَّة

الجولة الأولى

جيوش المسلمين بقيادة أبي بكر (رضي الله عنه)تطارد المرتدين

بعث **أبو بكر** - رضي الله عنه - إلى من كان حوله من القبائل التي ثبتت على الإسلام، من **أسلم وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة وكعب**، يأمرهم بجهاد أهل الرِّدَّة فاستجابوا له، حتى امتلأت المدينة النبوية بهم، وكانت معهم الخيل،والجمال التي وضعوها تحت تصرف الصديق، ومما يدل على كثرة رجال هذه القبائل وكبر حجم دعمها لأبي بكر - رضي الله عنه -، أن جهينة وحدها قدمت إلى الخليفة في أربعمائة من رجالها ومعهم الظهر والخيل، وساق عمرو بن مرة الجهني مائة بعير لإعانة المسلمين، فوزعها أبو بكر على المسلمين .

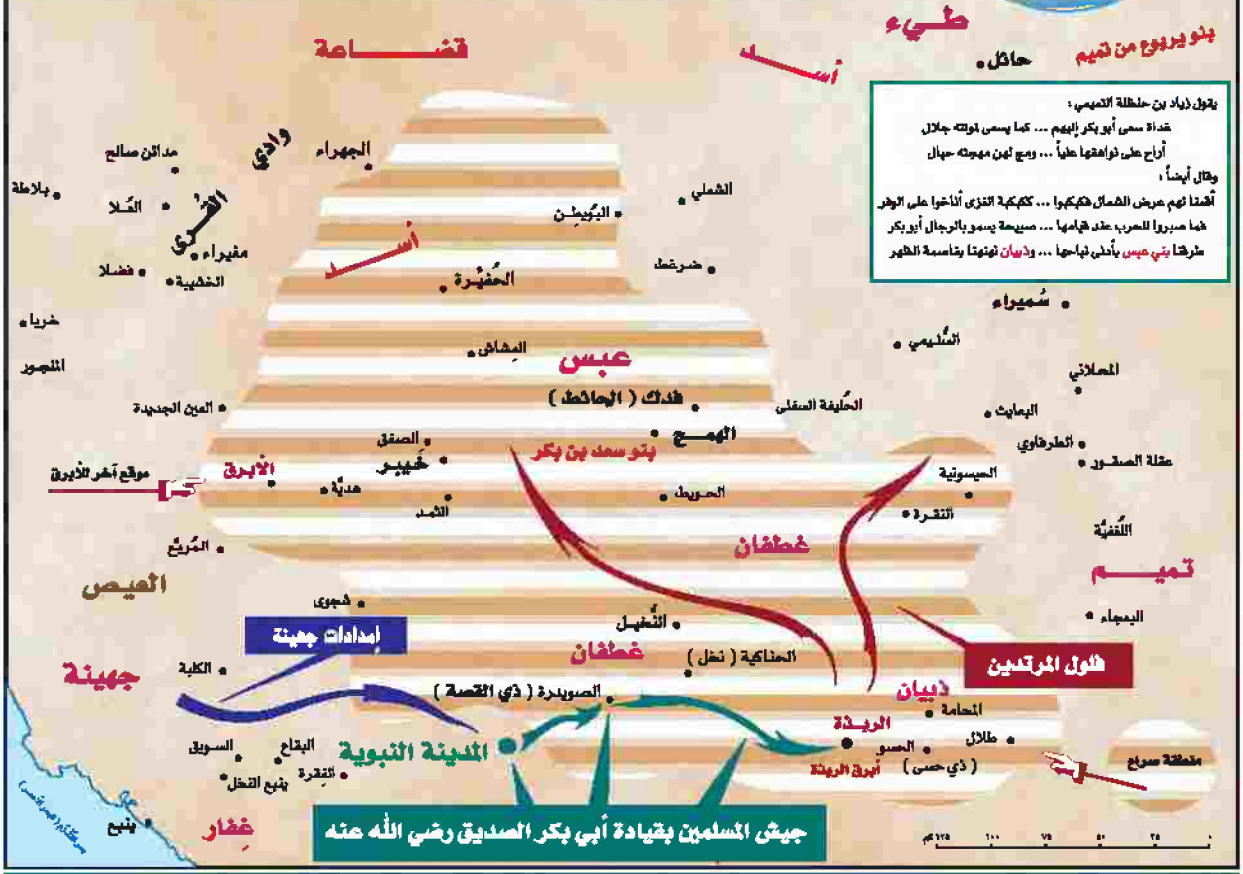

الحِساءُ: بكسر أوله ومد آخره وهو لغة جمع حسي ويُجمع على أحساء أيضاً وقد مر تفسيره في الأحساء، وقال ثعلبٌ الحساءُ الماءُ القليل والحساء، **مياه لبني فزارة بين الربذة ونجد يقال لمكانها ذو حِساءٍ** . قال عبد الله بن رواحة الأنصاري:

إذا بلغتني وحملتِ رَحلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساء

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٨٣ .

محراب مسجد أذري بموقع الربذة

م - من . موقع المسافر

الجولة الثانية

أخبر أهل معسكر **ذي حسى** ، إخوانهم المرتدين في المعسكر الآخر بما جرى للمسلمين في الجولة الأولى، وظنوا تراجعهم جبناً وخوفاً . فأحبوا أن يلاحقوهم إلى عقر دارهم ليقضوا عليهم . فتعبأ **أبو بكر** وخرج من ليلته على ميمنته النعمان وعلى ميسرته عبد الله وعلى الساقة سويد ، **أبناء مقرّن** ، فما طلع الفجر إلا وهم وجهاً لوجه مع العدو، فوضعوا فيهم السيوف دون أن يسمعوا للمسلمين صوتاً فهزمزهم. واتبعهم أبو بكر إلى **ذي القصة** وكان أول الفتح، ووضع عليهم النعمان بن مقرّن. وقتل في هذه المعركة حِبال أخو طليحة الذي كان قد بعثه مدداً لهم . وإثر هذه الجولة عز الإسلام فأخذت صدقات القبائل التي امتنعت في البداية عن أدائها تصل تباعاً .

أول الفتح بعد هذه الجولة :

ارتفعت معنويات المسلمين في هذا النصر خلال هذه الجولة الثانية ، وثبت مسلمو القبائل على دينهم، وجاء نصر آخر إذ وصلت إلى المسلمين أموال الصدقات من عدة جهات، فقد جاء صفوان بن صفوان(١) بصدقات بني عمرو وذلك في أول الليل من جهة النقب الذي عليه سعد بن أبي وقاص(٢) . وجاء الزبرقان بن بدر(٣) في وسط الليل بصدقات بني عوف من جهة النقب الذي عليه عبد الرحمن ابن عوف(٤) وجاء عدي بن حاتم الطائي(٥) في آخر الليل بصدقات قومه من جهة النقب الذي عليه عبد الله بن مسعود(٦) .

(١) صفوان بن صفوان بن أسيد من بني تميم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاه على صدقات بني عمرو الذين هم فرع من بني تميم.

(٢) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري، أبو اسحاق: من المسلمين الأوائل، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، فاتح القادسية والمدائن، فارس الإسلام، أحد رجال الشورى، اعتزل الفتنة، وتوفي قرب المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان عام ٥٥ هـ .

(٣) الزبرقان بن بدر التميمي : صحابي، أحد وجهاء قومه، ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه، وبقي عليها حتى أيام عمر رضي الله عنه، كف بصره في آخر حياته، ومات عام ٤٥هـ في أيام معاوية رضي الله عنه وكان شاعراً.

(٤) عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي، أبو محمد : صحابي جليل، من العشرة المبشرين بالجنة، وأحد رجال الشورى، من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان تاجراً مشهوراً، توفي عام ٣٢هـ أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) عدي بن حاتم الطائي، أبو طريف وأبو وهب : أمير : صحابي، أسلم في السنة التاسعة للهجرة، شهد فتح العراق، وحضر الجمل وصفين والنهروان مع علي رضي الله عنه، وفقئت عينه يوم صفين، مات بالكوفة عام ٦٨ هـ أيام عبد الملك بن مروان.

(٦) عبدالله بن مسعود الهذلي، أبو عبد الرحمن : صحابي، من السابقين للإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان قصيراً، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه عام ٣٢هـ، قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وعاء ملئ علماً.

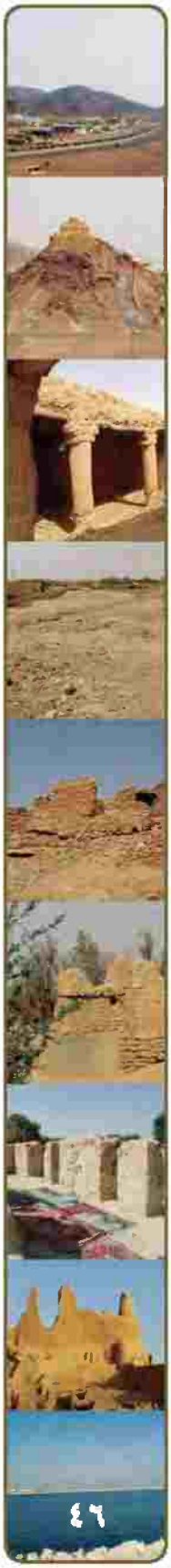

أطلس حروب الردة

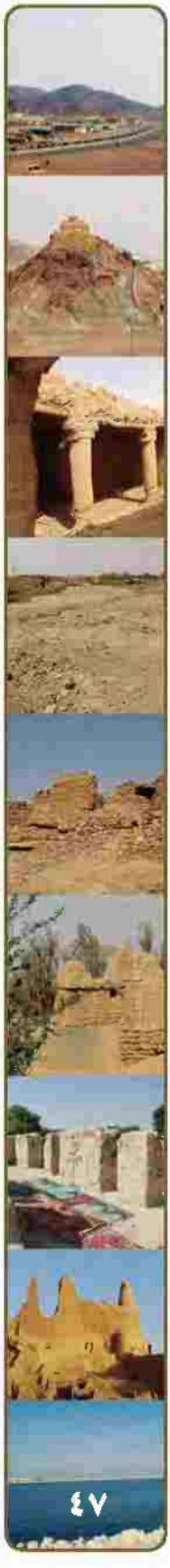

الجولة الثانية

٣ من أبرز نتائج الجولة الثانية : حينما بدأت صدقات القبائل تفد على المدينة، فطرقت المدينة صدقات نفر: صفوان ثم الزبرقان، ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث في آخره، وفي ليلة واحدة أثرت المدينة بأموال زكاة ستة أحياء من العرب، وكان كلما طلع على المدينة أحد جباة الزكاة قال الناس: (نذير) فيقول أبو بكر: (بل بشير) وإذا بالقادم يحمل معه صدقات قومه، فيقول الناس لأبي بكر: طالما بشرتنا بالخير، وخلال هذه البشائر التي تحمل معها بعض العزاء، وشيئاً من الثراء .

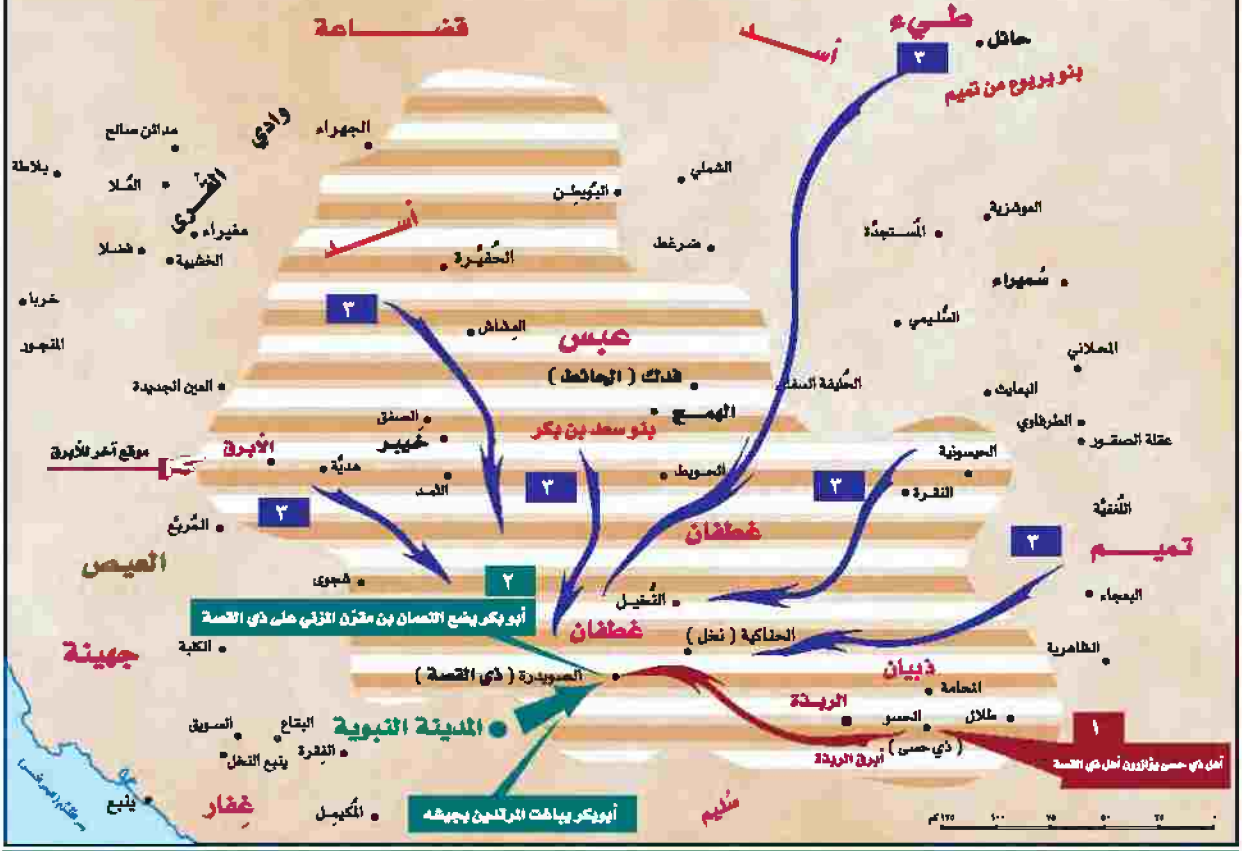

النعمان بن مقرّن بن عائذ المزني :

أبو عمرو، صحابي فاتح، من الأمراء القادة الشجعان، كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة، استشهد يوم نهاوند عام ٢١ هـ . وله عشرة إخوة كلهم من الشجعان.

عبدالله بن مقرّن بن عائذ المزني :

أخو النعمان.وأحد قادة نهاوند

سويد بن مقرّن بن عائذ المزني : انظر ص (٢١٥)

أخو النعمان، أسلم مع أسرته، شهد فتح العراق، وحضر القادسية والمدائن، قاتل تحت لواء أخيه النعمان بنهاوند، وتحت لواء أخيه نعيم في الري وهمدان، ثم قاد فتح طبرستان وجرجان، سكن الكوفة ومات بها.

رضي الله عنهم أجمعين

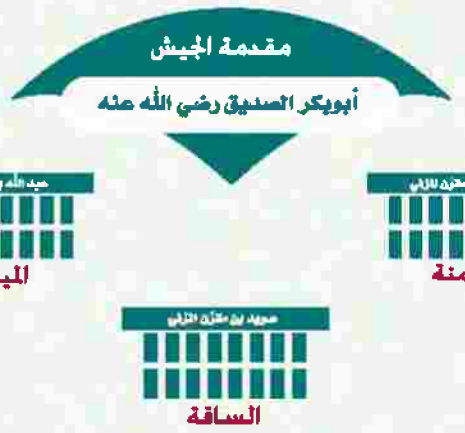

جيش أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي خرج في الجولة الثانية

الجولة الثالثة

خـرج أبوبكر لقتال هؤلاء المتأشـبين حول المدينة من مرتـدة عبس وذبيان لأنهم بعد انتصـار المسـلمين في الجولة الثانية عدوا على من فيها من المسلمين فقتلوهم شـر تقتيـل. فلما سـمع أبو بكـر بذلك، نـذر أن يخرج إليهـم فيأخذ بثـأر هؤلاء المسـلمين المقهوريـن. فخرج على تعبيتـه إلى ذي حُسَـى وذي القصة حتى نزل على المشـركين في الأبرق فاقتتلوا وهزم الله المرتديـن وأخذ الحطيئة في هذه الحملة أسيراً. وقد أجلى أبو بكر بني ذبيان عن بلادهم وحماها لصدقات المسلمين. وعلى أثر هذه الجولة انحازت عبس وذبيان إلى طليحة في بزاخة بعد رحيله عن سميراء.

قال الأصمعي **الأبرق والبرقاء** حجارة ورمل مختلطة وكذلك البُرقة. وقال غيره جمع البرقة بُرق وجمـع الأبرقِ أبارق وجمع البرقاء بَرقاوات وتجمع البرقة فـي الكثرة على براق وفي القلة على أبراق. وقال ابن الأعرابي: الأبرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة وكل شـيء خلط من لونين فقد برق. وقال ابن شـميل: البرقـة أرض ذات حجارة وتـراب الغالب عليها البياض وفيها حجارة حُمر وسـود والتراب أبيضُ أعفر وهو يبرق بلون حجارتها وترابها وإنما برقُها اختلاف ألوانها وتثبت أسـنادُها وظهرها البقل والشجر نباتاً كثيراً يكـون إلى جنبهـا الروضـ أحيانـاً وقد أضـيف كل واحد من هـذه اللفات والجمـوع إلى أمكنـة أذكرُها في مواضعها حسبما يقتضيه الترتيبُ ملتزماً ترتيب المضاف إليه أيضاً على الحروف ومعاني هذه الألفاظ على اختلاف أوزانها واحد وإنما تجيءُ مختلفة لإقامة وزن الشعر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ / ص ٣٤.

أبرَقُ الربذَة: بالتحريك والذال معجمة. موضع كانت به وقعة بين أهل الردة وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر في كتاب الفتوح كان من منازل بني ذبيان فغلبهم عليه أبو بكر رضي الله عنه لما ارتدوا وجعله حمى لخيول المسلمين وهذا الموضع عنى زياد بن حنظلة. بقوله:

ويوم بالأبارق قد شهدنا ... على ذُبيان يلتهبُ التهابا

أتيناهم بداهية نآدٍ ... مع الصديق إذ ترك العتابا

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ / ص ٣٦.

أطلس حروب الرِّدَّة

الجولة الثالثة

خرج أبو بكر في تعبيته إلى ذي حُسَى وذي القصة، والنُّعمان وعبدالله وسُويد على ماكانوا عليه، حتى نزل على أهل الرَّبذة بالأبرق، فهزم الله الحارث وعوفاً وأخذ الحطيئة أسيراً، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً، وقد غلب بني ذبيان على البلاد. وقال: حرام على ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله وأجلاها فلما غلب أهل الردة، ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه، وسامع الناس جاءت بنو ثعلبة، وهي كانت منازلهم لينزلوها، فمنعوا منها فأتوه في المدينة، فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا؟ فقال: كذبتم، ليست لكم ببلاد، ولكنها مَوْهبي ونَقَذي (ما استنقذ من الأعداء)، ولم يُعْتبهم، وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الرَّبذة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين، لقتال كان وقع بين الناس، وأصحاب الصدقات.

في آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول خلافة أبي بكر رضي الله عنه من ظهور الأسود العنسي في جهة صنعاء ومسيلمة في اليمامة يدعيان النبوة، وهما في ذلك مقران بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم معلنان بذلك ومن انقسام العرب ومن باليمن من غيرهم أربعة أقسام إثر موته ﷺ فطائفة ثبتت على ما كانت عليه من الإسلام لم تبدل شيئاً ولزمت طاعة أبي بكر وهم الجمهور والأكثر، وطائفة بقيت على الإسلام أيضاً إلا أنهم قالوا نقيم الصلاة وشرايع الإسلام إلا أنا لا نؤدي الزكاة إلى أبي بكر، ولا نعطي طاعة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء كثيراً إلا أنهم دون من ثبت على الطاعة ويبين هذا قول الحطيئة العبسي:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا لهفنا ما بال دين أبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وإن التي طالبتم فمنعتم ... لكالتمر أو أحلى لدي من التمر

يعني الزكاة ثم ذكر القبائل الثابتة على الطاعة ... . ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل - (ج ١ / ص ١٧٧).

عودة جيش أسامة منتصراً:

في غمرة الانتصارات العظيمة التي تحققت للمسلمين مع المرتدين حول المدينة النبوية على أيدي القائد الفذ (الصديق) - رضي الله عنه - خريج مدرسة النبي عليه السلام .

وصل جيش أسامة بن زيد مظفراً يسوق الغنائم إلى المدينة، وكان في استقباله الخليفة نفسه وكبار الصحابة، وتوجه أسامة إلى المسجد النبوي عند دخوله المدينة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عودته من الغزو ، وهناك ركز أسامة الراية التي عقدها له رسول الله وصلى لله شكراً على ما أكرمه من نصر[1] .

اطمأن المسلمون في المدينة لوصول جيش أسامة منتصراً، وتأكد لهم أن أبابكر كان أبعدهم نظراً، وأعظمهم ثقة بنصر الله، وقد عبر عن ذلك ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: لقد قمنا بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبي بكر، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون، وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم[2].

كان من شأن هذا البعث أن ألقى الفزع والهلع في قلوب القبائل العربية التي مرَّ عليها في شمال الجزيرة العربية، وكأن لسان حالهم أنه لو لم يكن للمسلمين قوة ما بعثوا جيشاً إلى تخوم الروم؛ ولذا كانت حركة الردة في تلك المناطق أضعف منها في أي مكان آخر.

ولما استتب الأمن في الجزيرة العربية وقضى المسلمون على الفتنة، وجّه الصدّيق عنايته إلى تأمين حدود دولته؛ سواء من جهة الفرس، أو الروم، وكانت جبهة فارس يتكفل بفتحها "خالد بن الوليد". أما جبهة الروم؛ فقد استشار الصديق بشأنها أهل مشورته؛ فاجتمع رأيهم على خطورتها على أمن الدولة الإسلامية؛ فأرسل إلى مشارف الشام حملة بقيادة "خالد بن سعيد" في أواخر عام (١٢ هـ = ٦٣٢م)، وأمر أن ينزل "تيماء"، وألا يبرحها، وطلب منه مراقبة تحركات الروم دون أن يدخل معهم في عراك، ثم تطورت الأحداث بعد ذلك، وبدأ فتح الشام ودخول تلك البلاد تحت حكم المسلمين بعد أن كانت خاضعة للروم[3] .

---

١ ، ٢ - د . محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص ٣٦.

٣ - أحمد تمام، النبي ودولة الروم، موقع على الانت الشبكة الإسلامية.

أطلس حروب الردة

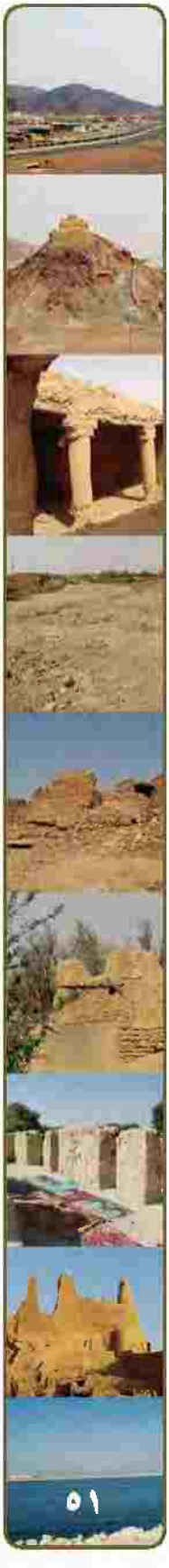

أسامة بن زيد بن الحارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي، قد رفعنا في نسبه عند ذكر أبيه زيد بن حارثة، وذكرنا ما لحق أباه زيد من السباء وأنه صار بعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ولاؤه صلى الله عليه وسلم، وأم أسامة أم أيمن واسمها بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته ... يكنى أسامة أبا زيد، وقيل أبا محمد يقال له: الحب بن الحب. واختلف في سنه يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم فقيل ابن عشرين وقيل ابن تسع عشرة وقيل ابن ثماني عشرة، سكن بعد النبي صلى الله عليه وسلم وادي القرى ثم عاد إلى المدينة فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية، ذكر محمد ابن سعد قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة ابن زيد ينتظره فجاء غلام أسود أفطس فقال أهل اليمن: إنما حسبنا من أجل هذا، قال: فلذلك كفر أهل اليمن من أجل هذا، قال يزيد بن هارون: يعني ردتهم أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس؛ فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف، ولابن عمر ألفين فقال ابن عمر: فضلت عليَّ أسامة وقد شهدت ما لم يشهد، فقال: **إن أسامة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك وأبوه أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك.** ابن عبد البر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٢٤) .

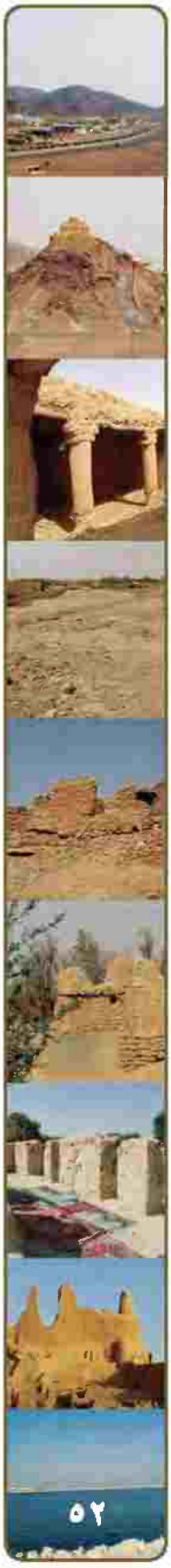

الجولة الرابعة

بعد أن رجع جيش أسامة من بلاد الشام، أمره أبو بكر بالاستجمام فترة وخرج هو إلى الربذة يلقى بعض فلول بني عبس وذبيان وجماعة من بني كنانة. وقد استخلف على المدينة أسامة نفسه، فقاتل المرتدين وطهر ما حول المدينة استعداداً للهجوم الشامل على المرتدين وعاد. وبعد أن أخذ جيش أسامة قسطه من الراحة، وعاد من حول المدينة ممن ارتد إلى الإسلام، خرج إلى ذي القصَّة الخرجة الأخيرة.

إن خروج الصديق رضي الله عنه للجهاد ثلاثة مرات متتالية،- بينما يرى الدكتور / علي العتوم أربع مرات متتالية وهذا ما أخذت به في إعداد هذا الأطلس - يعتبر تضحية كبيرة وفدائية عالية، فقد ناشده المسلمون أن يبقى في المدينة ويبعث قائداً على الجيش فلم يقبل بل قال: لاوالله لاأفعل ولأواسينَّكم بنفسي، وهذا يدل على تواضعه الجمّ، واهتمامه الكبير بمصلحة الأمة، وتجرده من حظ النفس، وقد أصبح بذلك قدوة صالحة لغيره، فلاشك أن خروجه للجهاد ثلاث مرات متتاليات وهو الشيخ الذي بلغ الستين من عمره قد أعطى بقية الصحابة دفعات قوية من النشاط والحيوية [1] د. الحميدي، التاريخ الإسلامي (٤٨/٩).

وقد جاء في إحدى هذه الروايات أن ضرار بن الأزور حينما أخبر أبا بكر الصديق بخبر تجمع طليحة الأسدي، قال: فما رأيت أحد -ليس رسول الله- أملأ بحرب شعواء من أبي بكر، فجعلنا نخبره ولكأنما نخبر بماله ولاعليه، وهذا وصف بليغ لما كان يتصف به أبو بكر من اليقين الراسخ والثقة التامة بوعد الله تعالى لأوليائه بالنصر على الأعداء والتمكين في الأرض، فأبو بكر لم يَفُق الصحابة بكبير عمل وإنما فاقهم بحيازة الدرجات العلى من اليقين رضي الله عنهم أجمعين [2] . د. الحميدي، التاريخ الإسلامي (٤٨/٩).

وقد روي أنه لما قيل له: لقد نزل بك مالو نزل بالجبال لهاضها وبالبحار لغاظها ومانراك ضعفت. فقال: مادخل قلبي رعب بعد ليلة الغار، فإن النبي ﷺ لما رأى حزني قال: لاعليك يا أبا بكر، فإن الله قد تكفل لهذا الأمر بالتمام، فكان له رضي الله عنه مع الشجاعة الطبيعية شجاعة دينية، وقوة يقينية في الله عزوجل، وثقة بأن الله ينصره والمؤمنين، وهذه الشجاعة لاتحصل إلا لمن كان قوي القلب، وتزيد بزيادة الإيمان وتنقص بنقص ذلك، فقد كان الصديق أقوى قلباً من جميع الصحابة لايقاربه في ذلك أحد منهم [3].

د. علي الصلاّبي، الإنشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، ص ٢٥٧، نقلاً عن أبي بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص٦٩.

أطلس حروب الرِّدَّة

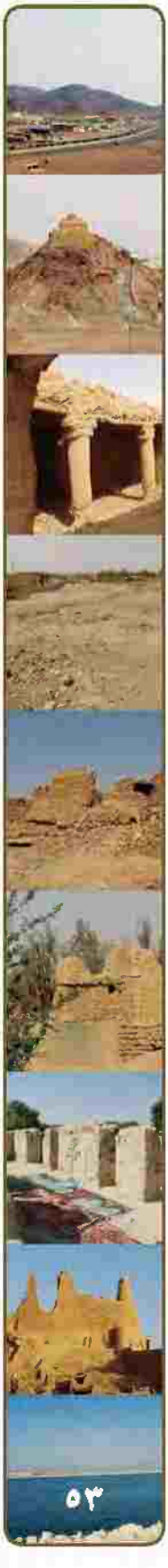

أهم الأحداث الرئيسة قبيل الهجوم الشامل على المرتدين

الحدث الأول	إنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى بلاد الشام.
الحدث الثاني	جيوش المرتدين تشن هجومها على المدينة بعد خروج جيش أسامة.
الحدث الثالث	جيوش المسلمين بقيادة أبي بكر تطارد المهاجمين من عبس وذبيان (الجولة الأولى).
الحدث الرابع	جيوش المسلمين تعاود مطاردتها للمرتدين مما أدى ببعض القبائل إلى القدوم بصدقاتها (الجولة الثانية).
الحدث الخامس	جيوش المسلمين بقيادة أبي بكر تضيق الخناق على بني ذبيان (الجولة الثالثة).
الحدث السادس	عودة جيش أسامة منتصراً ، وقيام أبي بكر بملاحقة بعض المرتدين حول المدينة (الجولة الرابعة).

خروج أبي بكر رضي الله عنه إلى (ذي القصة) لعقد الألوية لحرب المرتدين

كان **أبو بكر الصديق** - رضي الله عنه - على فهم وإدراك بطبيعة هؤلاء الأعراب المرتدين، لذلك رأى بثاقب نظره أن مساومة هؤلاء الأعراب على أمر الزكاة له ما بعده من المساومات الخطيرة، فهي مساومة خبيثة ستجر إلى المزيد من التنازلات في أمور الشرع والدين وهذا أمرٌ غاية في الخطورة بل ستجر الدولة الإسلامية إلى نفق مظلم لايعرف الخروج منه إلا الله سبحانه وتعالى.

فالمتنبئون زاد شرهم، وأخذت طويتهم الفاسدة تطفح على السطح، ووصل الأمر ذروته بعد مقتل الأسود العنسي في اليمن قبل وفاة النبي ﷺ بيوم، حيث كان اتباعه شراً مستطيراً، فهنا كان لابد من إيقاف هذا المد الهائج من الانحطاط الفكري والتعصب القبلي والطيش الجاهلي .

وأبو بكر الصديق هذا القيادي الفذ ما كان يقوم بالأمور إلا عن دراية كبيرة وخبرة واضحة ، فرأى - رضي الله عنه - أن عقد **الألوية** لقتال هؤلاء المرتدين أمراً لا مناص منه لذلك بعد الانتصار الكبير الذي حققته جولاته الأربع في ديار عبس وذبيان وفزارة من غطفان؛ إضافة إلى عودة جيش أسامة من أرض البلقاء والداروم منتصراً؛ فرصة سانحة لعقد هذه الألوية لاكتساح المرتدين في عقر دارهم والقضاء على شوكتهم وإرجاعهم إلى الدين الحق ! .

ذو القصَّة

الْقَصَّةُ (ذُو . .): بفتح وتشديد الصاد ، وآخره تاء مربوطة :

جاء في تعديد سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها ، غزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة ، من طريق العراق .

قلت : لا يعرف اليوم ذو القصة ، ولكن ياقوتاً في معجم البلدان حدده بأنه على (٢٤) ميلاً من طريق الربذة ، ويورد نصاً آخر بأنه على بريد من المدينة.

وكل ذلك على الطريق من المدينة إلى العراق المار بالقصيم. وهذا التحديد يجعله قريباً من الطرف (الصويدرة) اليوم، وهذه كانت ديار غطفان ، والغزوة كانت إلى بني ثعلبة من غطفان .

البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٥٥ .

لماذا اختار أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - (ذا القصة) مكاناً لانطلاق جيوشه ؟ . !

لقد حاولت جاهداً التعرف على السبب الجوهري الذي أدى بأبي بكر الصديق للخروج بألويته هذه المسافة بين المدينة النبوية و ذي القصة (انظر الخارطة الجغرافية في الصفحة المقابلة).

وبعد سنوات من التنقل والترحال في مجال إعداد هذه الأطالس التاريخية والإسلامية داخل هذا الوطن الحبيب، رأيت من الأهمية بمكان أن استطلع طبيعة هذا الموضع (ذي القصة) والتي رأى البلادي على أنها الطرف أو ما يسمى اليوم بالصويدرة؛ وبحمد من الله وتوفيقه فقد لفت انتباهي موقع الصويدرة والتي تلفها الجبال من جميع الجهات باستثناء الجهة المفتوحة على المدينة النبوية .

بيد أن هذا الأمر لا يزال طبيعياً ؛ لكن الملفت للنظر هو ذلك الجبيل الصغير الذي يتوسط الصويدرة ويطل على المنطقة التي تلفها الجبال لفاً (انظر مجموعة الصور في الصفحات القادمة إضافة إلى البرنامج التلفازي والذي أعددته لقناة طيبة الإسلامية)، وهو المكان الذي وجه أبو بكر عليه ألويته لتحديد مصير الوضع الخطير الذي هز أرجاء الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ .

موقعا الربذة و (ذي القصة) في المنطقة الإدارية للمدينة المنورة